المحاضرة السادسة: الفونيم مفهومه وأهميته

توطئة:

نظرا إلى أن الفونيم يمثل أحد المفاهيم الأساسية للسانيات، فقد أُختلف في تعريفه كثيرا، شأنه في ذلك شأن معظم المفاهيم الأساسية في مختلف العلوم التي يصعب لإعطاء تعريف دقيق لها، ويرجع اختلاف العلماء بشأن تعريفه إلى تعدد المدارس الصوتية واختلاف وجهات نظرهم إليه.

***الخلاف حول ترجمة مصطلح الفونيم:**

إن مصطلح الفونيم؛ هو مصطلح غربي، وعالم اللغة السويسري فرديناند دي سوسير هو أول من استعمله لأول مرة سنة 1873، وهو مصطلح لغوي معاصر مأخوذ في اللغات الأوروبية من الكلمة اليونانية (Phonéma)، وهي تتألف من الكلمة(phone) التي تعني صوتا، واللاحقة émat-éma المختصة بالأسماء، وهي تعني شيئا أو وحدة.

وفي العربية له مصطلحات عدة منها: صوت، صوتم، صُويتم، مستصوت، صوت مجرد، لافظ، صوتية، وعرب إلى فونيمة وفونيم ، وأغلبهم عرّبه إلى فونيم مقابل لphonème من أجل أن تتفق المراجع العربية على ترجمة موحدة ومتفق عليها، والخروج من هذا التشتت الفكري.

***مفهوم الفونيم:الوحدة الصوتية:**

عرفه "دانيال جونز":بأنه أسرة من الأصوات في لغة معينة متشابهة الخصائص ومستعملة بطريقة لا تسمح لأحد أعضائها أن يقع في كلمة في نفس السياق الصوتي الذي يقع فيه الآخر".

أما بلومفيلد فحدده بأنه "أصغر وحدة لغوية، ذات سمات صوتية مميزة".

أما تروبتسكوي فعرفه بقوله: "هو أصغر وحدة صوتية(فونولوجية) في اللسان المدروس".في حين نجده عند سابير:"بأنه صوت مثالي نحاول تقليده في النطق".

مثال1:كاتب هذه الكلمة تتكون من:ك+ا+ت+ب، وهي كلها وحدات صوتية غير قابلة للتجزئة، ويسمى كل منها فونيما، ويرمز إليها ب:/ك/، /ا/، /ت/، /ب/.

مثال2:جال /حال

فالجيم والحاء صوتان يفرقان بين معنى التركيب الأول والتركيب الثاني، وقد يحمل الفونيم معنى دلاليا داخل التركيب، يؤشر الشخص والجنس والعدد، وهذا ما نلحظه في الفونيمات المتصلة بالأفعال للمتكلم والمخاطب والغائب في حالات الإفراد والتثنية والجمع.

ومن جمع ما سبق، يمكن القول:إن الفونيم هو أصغر وحدة صوتية تغيرها يؤدي إلى تغير في المعنى.

***تغير صورة الفونيم:**

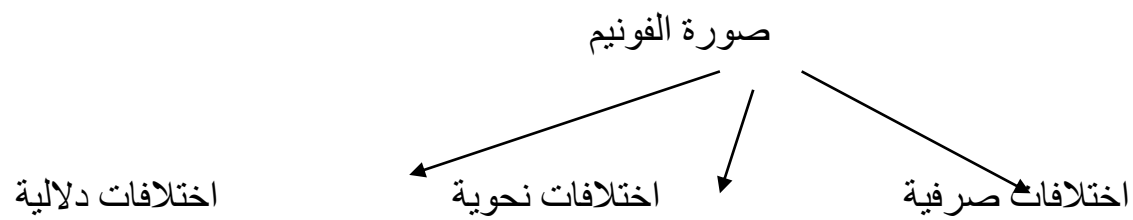

1-الاختلافات الصرفية:

يؤدي تغير صورة الفونيم إلى اختلافات بين البنيات اللغوية المنتمية إليها ضمن اللغة الواحدة، ومثال ذلك:

ضربتُ-ضربتَ-ضربتِ.

ففونيمات الضمة والفتحة والكسرة، وهي صوائت قصيرة عبرت عن دلالات صرفية متعددة:

-الضمة في تُ توحي بضمير المتكلم.

-الفتحة في تَ تشير إلى ضمير المخاطب.

-الكسرة في تِ تدل على ضمير المخاطبة.

2- الاختلافات النحوية:

أما من الناحية النحوية، فالفونيمات الضمة والفتحة والكسرة تؤدي وظيفة نحوية وهي تولدت عن تغير حركات البناء التي أثرت في وظيفة الكلمة (إعراب تاء الفاعل):

- تُ:ضمير متصل مبني على الضم في محل رفع فاعل للفعل (ضرب).

-تِ: ضمير متصل مبني على الكسر في محل رفع فاعل للفعل (ضرب).

-تَ: ضمير متصل مبني على الفتح في محل رفع فاعل للفعل (ضرب).

3-الاختلافات الدلالية:

مثال: سال/زال، فالوحدة /س/ تختلف تماما عن الوحدة الصوتية /ز/ في الكلمتين:(سال/زال)، ويرجع سبب الاختلاف في المعنى إلى اختلاف الفونيم الأول في كل منهما.لذلك يمكن القول: إن عملية استبدال فونيم مكان فونيم آخر يؤدي إلى تغير في معنى الكلمة.

***أنواع الفونيمات:**

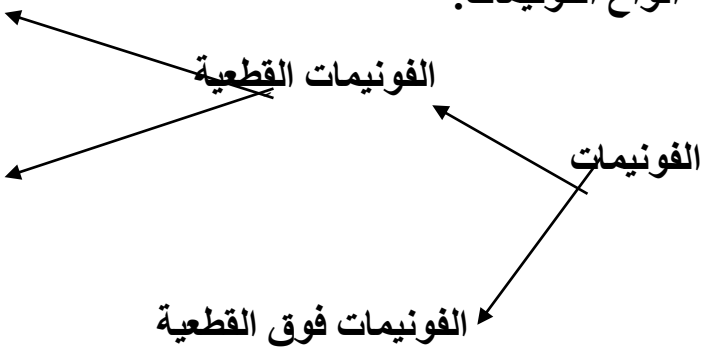

-أولا:الفونيم القِطعي:

ويسمى الفونيم الأولي أو التركيبي أو الأساسي أو القِطعي، وهو الوحدة الصوتية التي تكون جزءا من أبسط بنية لغوية ذات معنى، ومنعزلة عن السياق، أو هو العنصر الذي يكون جزءا أساسيا من الكلمة المفردة، كالباء ، والتاء، والثاء، وغيرها.

وتشمل اللغة العربية على أربعة وثلاثين فونيما من الصوامت والصوائت، وهي تتضمن ثمانية وعشرين فونيما صامتا، وستة فونيمات أخرى من الصوائت.

ثانيا: الفونيم فوق المقطعي:

ويسمى أيضا الفونيم الثانوي، أو التطريزي، أو ما فوق تركيبي أو غير قطعي، وهو ظاهرة أو صفة صوتية تتضح في الكلام المتصل، ويتمثل في كل من النبر والتنغيم، والمقطع الصوتي، وغير ذلك.

إن الفونيم فوق القطعي لا يكون جزءا من بنية الكلمة، وإنما يظهر فقط في الكلام المتصل، وهو يكسو المنطوق كله، ويكسبه صفات، وسمات مميزة، دون أن يكون عنصرا من بنية ذلك المنطوق.

ومثال ذلك التنغيم في جملة: هل حضر الطالب؟ فنغمة الاستفهام هنا تظهر في الجملة كلها وليس فس كلمة واحدة منها وهي تمثل فونيما تطريزيا فوق تركيبي.

***علاقات الفونيم:**

للفونيم علاقات عدة، منها:

1-علاقة رأسية: وتقوم هذه العلاقة على استبدال، أو وضع فونيم مكان فونيم آخر فيتغير المعنى ويكون في كل موقعيات الصيغ:

-في البداية(فاء الكلمة)، مثل:قال/نال.

-في الوسط(عين الكلمة)، مثل: مشى/مدى.

-في الأخير(لام الكلمة)، مثل:سار/سال. وكل علاقة من هذه تسمى علاقة تبادلية.

2--علاقة أفقية أو خطية: وفيها تتوالى الفونيمات واحدا تلوى الآخر بشكل خطي أفقي لتكوين المقطع، ثم تتوالى المقاطع أفقيا لتكوين المورفيم (الوحدة الصرفية)، وتتوالى المورفيمات لتكوين الكلمة، وتتوالى الكلمات لتكوين الجملة، فكل فونيم له علاقة أفقية مع الفونيمات السابقة واللاحقة لتكوين الوحدات اللغوية الأكبر.

- **أهمية الفونيم**:

1-إنه قادر على تمييز كلمة من أخرى، وهذا يستتبع قدرة الفونيم على التفرقة بين الكلمات في المستويات الصرفية والنحوية والدلالية، مثل:كلمة مِنْ ومَنْ الفرق بينهما فرق صرفي ونحوي ودلالي، فالأولى حرف جر يفيد معنى الابتداء، أما مَن الثانية فيمكن أن تكون اسم استفهام أو اسم موصول، وذلك حسب السياق الذي تقع فيه، وتعود هذه التفرقة إلى وجود فونيم الكسرة /ِ/في الكلمة الأولى، وفونيم الفتحة/ َ/ في الكلمة الثانية.

2-يعد الفونيم وسيلة مهمة في عملية تعلم اللغات الأجنبية وتعليمها، وذلك عائد إلى أن عدد الفونيمات في أية لغة يقل كثيرا عن عدد الأصوات الفعلية الحقيقية لتلك اللغة، وهذا يعني أن التعرف إلى الفونيمات وهي قليلة العدد، أيسر سبيل إلى تعلم الأصوات المنطوقة بالفعل، وهي في العادة كثيرة العدد.

3-يساعد الفونيم-باعتباره وحدة صوتية يشار إليها برمز كتابي محدد- على ابتكار ألفبائية منظمة ودقيقة للغات؛ لأن الصور الصوتية الفعلية للفونيم الواحد تتعدد، بحسب السياق الذي ترد فيه، ولهذا كان الفونيم الواحد بالرمز الكتابي الواحد وسيلة مهمة من وسائل التيسير والتعليم.